مختصر لمسائل مهمة من كتاب الولاء والبراء لفضيلة الشيخ محمد بن سعيد القحطاني

الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله

لما كان أصل الموالاة: الحب. وأصل المعاداة: البغض وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك [1].

[1] (?) "الرسائل المفيدة" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : (ص296)، تصحيح عبدالرحمن الرويشد، طبع سنة 1398هـ بدار العلوم بمصر.

فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله. وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسُّنَّة.

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**) [سورة آل عمران: 28] ويقول تعالى : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم* قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**) [سورة آل عمران: 31-32]

ويقول تباركت أسماؤه عن أهداف أعداء الله: (**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله**) [سورة النساء: 89] (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) [سورة المائدة: 51] ويقول تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**) [سورة المائدة: 54] .

أما الأحاديث والآثار فكثيرة وأذكر منها:

1- ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بايعه على أن "تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر"[1] .

2- روى ابن أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"[2] .

3- روى الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله"[3] .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: (قوله: "ووالى في الله" هذا بيان للازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب. وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً. وقوله: "وعادى في الله" هذا بيان للازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه. أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً، إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قال تعالى : (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم**

---

1 (?) "المسند" للإمام أحمد: (ج4/357، 358)، الطبعة الثانية سنة 1398هـ، الناشر المكتب الإسلامي وهو حديث حسن.

2 (?) "الإيمان" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شبية، توفي سنة 235هـ: (ص45)، تحقيق الألباني وقال: أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن، المطبعة العمومية بدمشق وانظر "المسند": (4/286).

3 (?) ذكره السيوطي في "الجامع الصغير": (1/69) وقال الألباني: حديث حسن.
انظر "صحيح الجامع الصغير": (2/343، ح2536).

والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) [سورة الممتحنة: 4].

ومما سبق يتضح أن الولاء في الله هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم. والبراء هو: بغض أعداء الله ومجاهدتهم. وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بـ"أولياء الله"، والفريق الثاني: بـ"أولياء الشيطان" قال تعالى: (**الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) [سورة البقرة: 257]. وقال تعالى: (**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا**) [سورة النساء: 76]

واعلم أن الله سبحانه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: (**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً**) [سورة الأنعام: 112] .[1]

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكُتب وحُجج كما قال تعالى: (**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**) [سورة غافر: 83]

---

[1] (?) "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (ص422)، الناشر: إدارات البحوث العلمية بالرياض بدون تاريخ.

والواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين، ومن ثَمَّ لا خوف ولا حزن لأن: (**كيد الشيطان كان ضعيفاً**) [سورة النساء: 76] .

والعامّي من الموحّدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى: (**وإن جندنا لهم الغالبون**) [سورة الصافات: 173].

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان)[1].

حقد الكفار على المسلمين

قال تعالى: (**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير**) [سورة البقرة: 109].

وفي ســـورة آل عمـــران: (**ودت طائفة من أهل الكتـــاب لو يضـــلونكم وما يضـــلون إلا أنفسهم وما يشعرون**) [سورة آل عمران: 69].

(**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**) [سورة آل عمران: 72].

(**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) [سورة البقرة: 135].

---

1 (?) بتصرف : انظر "كشف الشبهات" للإمام محمد بن عبد الوهاب: (ص 20)، الطبعة الثالثة سنة 1388هـ، الناشر مؤسسة النور بالرياض. وانظر "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية": (ج 4/46).

(**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينـزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**) [سورة البقرة: 105].

(**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) [سورة آل عمران: 118].

فهذه الآيـات وغيرها مما في مثل معناهـا: تـبين كيــدهم وما يتربصــون به للإســلام وأتباعــه. ولــذلك جاءت آيات كثـيرة في تحـذير المؤمنـون ونهيهم عن الاســتماع للكفــار عامة ولأهل الكتــاب خاصــة، أو طاعتهم، أو اتخاذهم أولياء، أو الركون إليهم.

قال تعالى: (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**) [سورة البقرة: 120].

(**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين* بل الله موالكم وهو خير الناصرين**) [سورة آل عمران: 149-150].

(**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين* وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم**) [سورة آل عمران: 100-101]

ورد في سبب نزول هاتين الآتين: أن شاس بن قيس اليهودي – وكان شيخاً قد أغبر في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم – مر على نفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، في مجلس جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار ! فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: أعمد إليهم فأجلس معهم، ثم ذكرهم بعاث –أحد أيامهم في الجاهلية- وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل. وتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين، فتقاولا، وقال أحدهما لصاحبه: إن شئت رددتها جذعة! وغضب الفريقان جميعاً وقالا: أرجعا السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة –وهي الحرة- فخرجوا إليها، وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، حتى جاءهم فقال : "يا معشر المسلمين: الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً!!". فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج

بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله فأنزل الله (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب**) الآية.

قال جابر بن عبد الله، ما كان طالع أكره إلينا من رسول اله صلى الله عليه وسلم، فأومأ إلينا بيده، فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى عليه وسلم، فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم[1].

ويوجه الله عباده المؤمنين ويرشدهم –بعد أن ذكر قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام في قصة ذبح البقرة – بقوله: (**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون* وإذ لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**) [سورة البقرة : 75-77].

ثم يأتي التحذير الأقوى في سورة المائدة (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) [سورة المائدة: 51).

(**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم**

---

[1] (?) انظر "تفسير الطبري" : (ج4/23)، و"أسباب النـزول" للواحدي: (ص66)، و"أحكام القرآن" للقرطبي : (ج4/155)، و "تفسير البغوي" : (ج1/389).

راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) [سورة المائدة: 55-57].

إن هذه النصوص وغيرها: قد ربت المسلمين على معرفة كيد أهل الكتاب للإسلام والمسلمين، فقطعت ما في نفوس بعض المسلمين من ود وولاء لهؤلاء الأعداء، من أجل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين فقط.

المنافقون يوالون الكفار

من أخطر ما ارتكبه المنافقون: موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر، قال تعالى: (**ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون* لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**) [سورة الحشر: 11-12].

وقال تعالى : (**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**) [سورة المجادلة: 14].

ذكر السدي ومقاتل: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقين: فقد كان أحدهما

يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود[1]. وهذا الآية كقوله تعالى : (**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً**). [سورة النساء: 143].

ولقد نــزلت ســورة كاملة فيهم هي ســورة "المنـــافقون" بيّن الله فيها أنهم يظهـــرون ما لا يبطنــون، وأنهم يحرضــون على إضـــعاف صف المسلمين).

صور موالاة الكفار[2] .

1- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة[3].

ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار : إنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية.

ومن المعلوم في معتقد أهل السنة والجماعة: أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملاً. فالذي يحب الكافر لأجل كفره فهو كافر بإجماع الأمة، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين. يقول ابن تيمية رحمه الله:

" أما حب القلب وبغضه، وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته. ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل

---

1 (?) "أسباب النـزول" للواحدي: (ص 235)، و"تفسير القرطبي": (ج 17/304)

2 (?) من أحسن من كتب في ذلك الإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبه.

3 (?) انظر نواقض الإسلام في "مجموعة التوحيد" : (ص 129) مطبعة الحكومة بمكّة.

العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل، ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه: (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**) [سورة القصص : 50] [1].

إذن: فالمحبة والرضى أمـــــران جازمـــــان لا يخرجان عن كونهما كفراً إذا كانا للكفار أو إيماناً إذا كانا للمؤمنين .

2- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال: (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**) [سورة آل عمران: 28].

قال ابن جرير في تفسيرها: (من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء . أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. (**إلا أن تتقوا منهم تقاه)** أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر **ولا تعينوهم على مسلم بفعل**) [2] .

وقال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**

---

1 (?) "شذرات البلاتين" : (ج1/354)، "رسالة الأمر بالمعروف" .

2 (?) "تفسير الطبري" : (ج3/228).

ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [سورة المائدة: 51].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) [1] .

وقال ابن حزم: (صح أن قول الله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) [2] .

وقال ابن تيمية: (أخبر الله في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: (**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء**) [سورة المائدة:81].

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضاً) [3] .

وقال ابن القيم: (إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى، فهو منهم (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يُقر ولا تُقبل منه الجزية. بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع، ولا

---

1 (?) المصدر السابق : (ج6/277) .

2 (?) "المحلى": (ج13/35) تحقيق حسن زيدان 1392هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

3 (?) انظر "الإيمان" لابن تيمية: (ص14) طبع المكتب الإسلامي.

يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين؛ لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل من دين إلى دين خير منه –وإن كانا جميعاً باطلين-، وأما المسلم فإنه قد انتقل من دين الحق إلى الدين الباطل بعد إقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك) [1].

ويستبعد سيد قطب أن يكون بين المسلمين، من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين. وإنما المراد ولاء التحالف والتناصر. يقول رحمه الله: (إن الولاية المنهي عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم، فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين. إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله. يوضح ذلك قوله تعالى بشأن المسلمين الذين لم يهاجروا: (**ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**) [سورة الأنفال: 72].

أي ولاية التناصر والتعـاون وليس ولاية الـدين. نقول هذا : لأن البعض يخلط بين دعوة الإسـلام إلى السـماحة في معاملة أهل الكتـاب والـبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسـلمة. ناسـين

---

1 (?) "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: (ج1/67،69).

ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضــهم أولياء بعض في حـرب الجماعة المسـلمة، وأن هـذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المســلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة: أن تظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني (**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**) الآية) [1] .

3- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: (**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً**) [سورة النساء: 51]

ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: (**ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**) [سورة البقرة: 101-102].

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام. فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار: من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من فعالهم

---

1 (?) " في ظلال القرآن" : (ج2/909-910) بتصرف . وسيرد مزيد من التفصيل إن شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان! .

ومقالهم الباطل: كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك[1]. وإن هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الإسلام اليوم، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في "العالم الإسلام" لا ينكره إلا مكابر جاهل، فها هي الببغوات من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألسنتنا قد آمنت بالشيوعية مذهباً تارة وبالاشتراكية تارة أخرى، وبالديمقراطية نظاماً أو العلمانية دستوراً، فأخذت هذه المبادئ الكافرة وطبقتها في بلاد المسلمين ملزمة الناس بعبادتها "في الطاعة والانقياد والتنفيذ" ونصبت العداء لكل مسلم موحد ينادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن من الإيمان ببعض ما هم عليه: مسألة فصل الدين عن الدولة وإنه لا علاقة للإسلام بالسياسة، فهذه أيضاً فرع للقضية السابقة، لم توجد إلا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم. ولكن أين الإسلام دين العدل ودين السياسة ودين القوة من "هرطقة" رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الإسلام قناعاً مزيفاً فيقول: الإسلام علاقة بين العبد وربه والسياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تمت إلى الدين بصلة[2].

1 (?) انظر "فتاوى ابن تيمية" : (ج28/199-201) .

2 (?) هناك كُتّاب أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم : د. محمد البهي و سيد قطب و المودودي وغيرهم . ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه بمراجعة كتاب "العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي" للأخ الدكتور/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي.

4- مودتهم ومحبتهم: وقد نهى الله عنها بقوله: (**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**) [سورة المجادلة :22].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادَّين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله. فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب) [1].

قال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**) [سورة الممتحنة: 1].

5- الركون إليهم :

قال تعالى : (**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**) [سورة هود: 113]

قال القرطبي: الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به [2].

وقال قتادة : معنى الآية : لا توادوهم ولا تطيعوهم.

وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم .

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفر أو معصية. إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة كما قيل:

---

1 (?) " الإيمان" : (ص 13).

2 (?) "تفسير القرطبي": (ج9/108)، وانظر "البغوي والخازن" : (ج 3/256). أما البيت فهو لطرفة بن العبد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي[1]

وقال تعالى: (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**) [سورة الإسراء: 74-75].

وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟[2] .

6- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين: قال تعالى: (**ودوا لو تدهن فيدهنون**) [سورة القلم: 9].

والمداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم. حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة – فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار ولئلا يصمهم أولئك الكفرة بأنهم ‘‘متعصبون‘‘ ! وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ يقول في مثل هؤلاء: "**لتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم".**

قلنا : يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال : "**فمن**" [3].

---

1 (?) المصدر السابق.

2 (?) "مجموعة التوحيد" : (ص117) ط. دار الفكر.

3 (?) "صحيح البخاري" : (ج13/300 ح7320) كتاب الاعتصام، و"صحيح مسلم": (ج4/2054 ح2669). واللفظ للبخاري.

إن المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي –والعياذ بالله- إلى الخروج من الملة. وهذه إحدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه، وليعلم أنه هو الأعز وهو الأقوى إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته.

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين: أن من أكبر العوامل في انتصارهم –بعد الإيمان بالله ورسوله- الاعتزاز بالإسلام. يصدّق ذلك ويؤيده قول الفاروق –رضي الله عنه- : "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله" [1].

7- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين: قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) [سورة آل عمران: 118].

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم[2].

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بيّن الله العلة في النهي عن مباطنتهم فقال: (لا يألونكم خبالاً) أي لا

---

1 (?) أخرجه الحاكم في "المستدرك" : (ج1/62) كتاب الإيمان. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

2 (?) "أسباب النـزول" للواحدي: (ص 68).

يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك.

والعداوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقيعة فيهم، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين[1]. وفي سنن أبي داود قوله صلى الله عليه وسلم : "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" [2].

8- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به [3].

قال تعالى ناهياً عن ذلك: (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**) [سورة الكهف: 28]. وقال : (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**) [سورة آل عمران: 149] وقال: (**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**) [سورة الأنعام: 121].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (**وإن أطعتموهم إنكم لمشركون**) حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) [سورة التوبة: 31]). [4]

9- مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله: قال تعالى في النهي عن

---

1 (?) انظر "تفسير البغوي": (1/409)، و"تفسير ابن كثير": (2/89).

2 (?) "سنن أبي داود": (ج5/168، ح4833) كتاب الأدب، وفي "المسند" : (ج16/178، ح8398)، طبعة شاكر، والترمذي: (ج7/111، ح2379) في "الزهد"، وقال هذا : حديث حسن غريب .

3 (?) "مجموعة التوحيد" : (ص 117).

4 (?) "تفسير ابن كثير" : (ج3/322).

مجالستهم: (**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً**) [سورة النساء: 140].

قال ابن جرير: (قوله (**إنكم إذاً مثلهم**) أي إنكم إذاً جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم) [1] .

وفي الحديث: "**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابكم**" [2].

10- توليتهم أمراً من أمور المسلمين :

كالإمـــارة والكتابة وغيرهـــا، والتولية شـــقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوع من توليهم. وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم. ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم. والولاية تنـــافي الـــبراءة فلا تجتمع الـــبراءة والولاية أبداً.

والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً. والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبداً. ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتّاب –مثلاً-

---

1 (?) "تفسير الطبري" : (ج5/330).

2 (?) رواه أحمد في "المسند" (ج8/80، ح5705) بتحقيق أحمد شاكر، و"صحيح البخاري": (ج8/125، ح4419) كتاب المغازي، و"صحيح مسلم": (ج4/2185، ح2980) كتاب الزهد.

ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان: لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال. فهذا الملك ‘‘الصالح‘‘ كان في دولته نصراني يسمى: محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان ولم يكن في المباشرين أمكن منه. كان قذى في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين. بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم برده إلى دين النصرانية وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يكاتب الفرنج بأخبار المسلمين، وأعمالهم، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها.

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الإدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. وحدث أن اجتمع في مجلس ‘‘الصالح‘‘ أكابر الناس من الكتّاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق. وقال من جملة كلامه: إن النصارى لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. والله تعالى يقول: (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**) [سورة المائدة: 73].

وأول أمـــانتهم وعقد دينهم: ‘‘بسم الأب والابن وروح القـدس إله واحـد‘‘ فأخذ هـذا المعـنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له:

كيف يدري الحساب من جعل الوا

حد رب الورى تعالى

ثلاثــه

ثم قال : كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة؟ وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان ديناراً وأخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة؟ .

وانصرف القوم واتفق أن كبت النصراني بطنته، وظهرت خيانته فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه [1].

11- استئمانهم وقد خونهم الله: قال تعالى: (**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**) [سورة آل عمران: 75].

12- الرضى بأعمالهم والتشبه بهم، والتزيي بزيهم[2].

13- البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم[3].

14- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم:

ويضرب القرآن لذلك مثالين هما : امرأة لوط التي كانت ردءً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط. وكذلك فعل امرأة نوح[4].

---

1 (?) "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: (ج1/242-244) بتصرف يسير .

2 (?) "مجموعة التوحيد" : (117).

3 (?) "مجموعة التوحيد" (ص117)

4 (?) "تفسير ابن كثير": (ج6/210).

15- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم[1].

وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة فقد رأينا ''أفراخ المستشرقين'' –مثلاً- ينشرون فضائلهم وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد و..و.. إلخ كذلك جاء من ينشر ''فضائل'' الغرب أو الشرق مضفياً عليها ألقاب التقدم والحضارة والرقي، وواصماً الإسلام والمنتسبين إليه بالرجعية والجمود والتأخر عن مسايرة الركب الحضاري والأمم المتقدمة.

16- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم:

مثل: السادة والحكماء ومبادأتهم بالسلام (ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهم عدوَّ الله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه. أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن منـزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يُخْشى على فاعله أن يكون مرتداً عن الإسلام؛ لأن هذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعداء الله) [2].

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن. أما الكافر فله الإهانة والذلة. وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن مبادأتهم بالسلام فقال صلى الله عليه وسلم : **"لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"**[3]

---

1 (?) "مجموعة التوحيد" (ص117) ، ورسائل سعد بن عتيق: (ص101).

2 (?) "تحفة الإخوان" للشيخ حمود التويجري: (19)، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

3 (?) "صحيح مسلم" : (ج4/1707، ح2167) كتاب السلام، وأبو داود: (ج5/384، ح5205) في الأدب.

17 - السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**"[2].

وقال : "**لاتساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا**"[3].

18 - التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم[4]:

وهذه الصورة من أخطر ما ابتُليت به أُمَّتُنا في هذا العصر. ذلك أن وجود ما يسمى في المصطلح الحديث''الطابور الخامس'' قد أفسد أجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق أم في الدين والدنيا معاً. وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنه الشيخ محمد قطب أنه قال حين خرج الاستعمار الإنجليزي من مصر: (خرج الإنجليز الحمر وبقي الإنجليز السمر!!) – نعم إن داءنا هم الإنجليز السمر.

---

1 (?) "الرسائل المفيدة" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : (ص64).

2 (?) أبو داود: (ج3/224، ح2787)) كتاب الجهاد، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن، انظر "صحيح الجامع الصغير": (ج6/279، ح6062).

3 (?) الحاكم في "المستدرك": (ج2/141)، وقال صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

4 (?) "الإيمان. حقيقته. أركانه. نواقضه" للدكتور محمد نعيم ياسين: (ص 147).

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة "دنلوب" في التربية والتعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة: فرويد وماركس ودور كايم في أفكارهم الخبيثة؟ [1]. إنهم المستغربون من أبناء هذه الأمة الذين حققوا لأعداء الله مالا يحلمون به. ولكن هيهات لهم فإن الله يقول: (**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون**) [سورة الصافات: 171-173].

19 - من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين[2].

20 - من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة[3].

ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور

قد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح، ولا يعتبرها الله عذراً لهم فيعذرهم من أجلها. لأنها جميعاً من تزيين الشيطان وتسويله، وحب الدنيا والطمع في زينتها.

والله سبحانه وتعالى لم يقبل عذراً لأحد في إظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم إلا عذراً واحداً هو : الإكراه. قال تعالى : (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره**

---

1 (?) يراجع كتاب "التطور والثبات في حياة البشرية" للأستاذ محمد قطب: (ص35) فصل: اليهود الثلاثة، وكتاب "هل نحن مسلمون؟": (ص133)، وكتاب "مذاهب فكرية معاصرة".

2 (?) "الردة بين الأمس واليوم" : (ص33).

3 (?) المصدر السابق: (ص40).

وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم* ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) [سورة النحل: 106-107].

وقال سبحانه : (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة**) [سورة آل عمران:28]

والإكراه لا ينفع أحداً فيما يتعلق بالرضى القلبي، والميل الباطني إلى الكفار لأنه غير مأذون فيه على أية حال لقوله تعالى: (**وقلبه مطمئن بالإيمان**) ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب. فإنه لا يعلم ما في القلب إلا الله.

فمن والى الكفار بقلبه ومال إليهم فهو كافر على كل حال. فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار[1].

متى تكون التقية؟

قال تعالى : (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**) [سورة آل عمران:28].

قال البغوي: نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار

---

1 (?) انظر "الإيمان" للدكتور محمد نعيم ياسين: (ص147-148) .

غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يظهر الكفار على عورة المسلمين. والتقية لا تكون إلا من خوف القتل وسلامة النيّة قال تعالى: (**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**) ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم[1].

وقال ابن القيم : معلوم أن التقاة ليست بموالاة، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة لهم[2]. (ولأن باب التقاة باب يمكن أن ينفذ منه الشيطان بسهولة يزين للضعفاء ومرضى القلوب أن يركنوا إلى أعداء الله قال بعدها مباشرة: (ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) يحذركم في الدنيا أن تتخذوا هذا الباب تكأة، وتستسهلوا هذه الكبيرة –وهي موالاة أعداء الله- وينذركم أن إليه المصير فيجازيكم على ما فعلتم في الدنيا، فلا تحسبوا أن ترتكبوا هذه الكبيرة في الأرض –مخادعين أنفسهم أو مخادعين الناس- ثم تنجوا من عذاب الله في الآخرة) [3].

وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: (**إلا أن تتقوا منهم تقاة**) [سورة آل عمران: 28].

---

1 (?) "تفسير البغوي" : (ج1/336)، وانظر "أحكام القرآن" للجصاص (ج2/289).

2 (?) "بدائع الفوائد": (ج3/69).

3 (?) "دراسات قرآنية" (ص326-327).

:أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل[1].

الإكراه : قال تعالى: (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**) [سورة النحل: 106-107].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما- : نزلت الآية –الأولى- في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمّه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً. فأما سمية فإنها رُبطت بين بعيرين ووجيء قُبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام،وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فأُخبر النَّبِّي صلى الله عليه وسلم بأن عماراً كَفَر، فقال، : "**كلا: إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه**"[2] فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال: "**إن**

---

1 (?) "تفسير الطبري" : (ج3/228).

2 (?) هذا اللفظ ضعيف، وإنما اللفظ الصحيح هو ما رواه الحاكم في "مستدركه" : (ج3/392-393)، وكذلك النسائي: (ج8/111) في كتاب الإيمان، هكذا: "ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه" وهو حديث صحيح كما قال الألباني. انظر "صحيح الجامع الصغير": (ج5/211، ح5764)، و "سلسلة الأحاديث الصحيحة": (ج2/466، ح807).

عادوا لك فَعُد لهم بما قلت"[1] فأنزل الله هذه الآية[2].

وقال الطبري في معنى الآية: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدراً اختاره وآثره على الإيمان، وباح به طائعاً: فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[3].

وسبب ذلك: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا[4].

شروط الإكراه:

قال ابن حجر : شروط الإكراه أربعة:

1- أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار.

2- أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

3- أن يكون ما هدد به فورياً، فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غداً، لا يعد مكرهاً، ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جدًّاً، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.

4- أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره.

ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور، ويستثنى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حق[5].

---

1 (?) حديث مرسل ورجاله ثقات. انظر "فتح الباري" : (ج12/312).

2 (?) "أسباب النـزول"للواحدي:(ص162)،وانظر"تفسيرالطبري":(ج14/182)،و"تفسير ابن كثير":(ج4/525)

3 (?) "تفسير الطبري" : (ج14/182).

4 (?) "تفسير ابن كثير" : (ج4/525) .

5 (?) "فتح الباري" : (ج12/311-312).

قـال الخـازن: قـال العلمـاء : يجب أن يكـون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعـــذب بعـــذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضـرب الشـديد، والإيلامـات القوية مثل التحريق بالنـار ونحـوه[1]. واجمعـوا أيضـاً: على أن من أكـره على الكفر لا يجـــــــوز له أن يتلفظ بكلمة الكفر تصريحاً، بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر، فلو أكـره على التصـريح يبـاح له ذلك بشـرط طمأنينة القلب على الإيمـان، غـير معتقد ما يقوله من كلمة الكفـر، ولو صـبر حـتى قتل كـان أفضل لفعل ياسر وسمية وصبر بلال على العذاب[2].

لقد كـــان بلال رضي الله عنه تُفعل به الأفاعيل حـتى إنهم ليضـعون الصـخرة العظيمة على صـدره في شـــدة الحر ويأمرونه أن يشـــرك بالله فيـــأبى عليهم ويقول: أحدٌ. أحد. ويقول: والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقتلها[3].

وكـــذلك حـــبيب بن زيد الأنصـــاري[4] لما قـــال مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

قـال نعم. فيقـول: أتشـهد أني رسـول اللـه؟ فيقـول: لا أسـمع ،فلم يـزل يقطعه إربـاً إربـاً وهو ثابت على ذلك[5].

وكما فعل الصـــحابي الجليل عبد الله بن حذافة السـهمي[6]: فإنه لما أسـرته الـروم جـاءوا به إلى ملكهم فقـــال لـــه: تنصَّـــر وأنا أشـــركك في ملكي

---

1 (?) "تفسير الخازن" : (ج4/117).

2 (?) "تفسير الخازن" : ((ج4/117).

3 (?) انظر "تفسير ابن كثير": (ج4/525).

4 (?) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الأنصاري أخو عبد الله بن زيد، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد العقبة من الأنصار وقال هو الذي أخذه مسيلمة فقتله. قال ابن سعد شهد حبيب أحداً والخندق والمشاهد "الإصابة": (ج 1/307).

5 (?) "تفسير ابن كثير" : (ج4/525).

وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتـني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العـــــــرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت . فقـال: إذاً أقتلك قـال: أنت وذاك، فـأمر به فصُـلب، وأمر الرمـاة فرمــوه قريبـــــاً من يديه ورجليه وهو يعـــــرض عليه دين النصـرانية فيـأبى، ثم أمر به فـأُنزل، ثم أمر بقـدر. وفي رواية ببقرة من نحاس فـأحميت، وجـاء بأسـير من المسـلمين فألقـاه وهو ينظـر، فـإذا هو عظـام تلـوح، وعـرض عليه فـأبى، فـأمر به أن يلقى فيهـا، فرفع في البكـــــرة ليلقى فيهـــــا، فبكى فطمع فيه ودعاه فقـال لـه: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر السـاعة في اللــه، فـأحببت أن يكـون لي بعـدد كل شـعرة من جسـدي نفس تعذب هذا العذاب في الله! .

وفي بعض الروايـــــات: أنه ســــجنه ومنع عنه الطعـام والشـراب أيامـاً ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنـزير فلم يقربـه، ثم اسـتدعاه فقـال: ما منعك أن تأكـــــل؟ قــــال: أما أنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشـــمتك في، فقـــال له الملـــك: فقبل رأسي وأنا أطلقـــــك، فقـــــال: وتطلق معي جميع أســـــارى المسـلمين، قـال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسـلمين عنـده، فلما رجع قـال عمر بن الخطـــاب: حق على كل مســـلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافـــة، وأنا أبـــدأ، فقـــام فقبل رأسه[1].

---

6 (?) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي وأمه آمنة بنت حرثان من بني حارث، وهو من السابقين الأولين، يقال إنه شهد بدراً، ولم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق ولا غيرهما من أصحاب المغازي. وقصته مع ملك الروم ذكرت سابقاً، انظر ترجمته في "الإصابة": (ج2/296)، و "تهذيب التهذيب" : (ج5/185).

1 (?) "تفسير ابن كثير": (ج4/526).

أنواع الإكراه:

1- الإلجـاء: حيث ينعـدم الرضا والاختيـار، وتنتفي الإرادة والقصـد، وذلك بـالوقوع تحت التعـذيب الشـديد أو نحو ذلـك، وهـذه الحالة هي الـتي نـزلت فيها آية النحـل: (**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكـره وقلبه مطمئن بالإيمان**) [سورة النحل: 106].

2- التهديد: حيث ينعـدم الرضـا، ولا ينعـدم الاختيـار تمامـاً وهـذه في مثل الحالة الـتي يختـار فيها الإنسان أخف الضـررين مثل حـال شـعيب عليه السـلام مع قومه إذ خـيروه بين العـودة إلى الكفر أو الخـروج من قـريتهم: (**قـال الملأ الـذين اسـتكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والـذين آمنـوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا علىالله كـذباً إن عـدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكـون لنا أن نعـود فيها إلا أن يشـاء الله ربنا وسع ربنا كل شـيء علمـاً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بـالحق وأنت خير الفاتحين**) [سورة الأعـراف: 88-89].

فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الإكراه لهـذا النص ولقوله تعـالى: (**ومن النـاس من يقـول آمنا بالله فـإذا أوذي في الله جعل فتنة النـاس كعذاب الله ولئن جـاء نصر من ربك ليقـولن إنا كنا معكم أوليس الله بـأعلم بما في صدور العالمين**) [سورة العنكبوت: 10].

3- الاستضـــعاف : وهنا لا تعـــذيب ولا تهديد ولكن المستضعف داخل تحت وضع مفروض عليه من غـيره كـالمقيم في مكّة بعد هجـرة المسـلمين عنها، فإذا كـان دخوله تحت هـذا الوضع لعجـزه عن دفعه وعن الخـــروج منـــه، ولو أمكنه ذلك لفعل مهما كانت تضحياته وتكاليفه فهذا قد عفا الله عنه[1]. أما إذا كـــان قـــادراً على الـــدفع أو الخروج ولم يفعل ذلك إيثاراً للعاقبة فقد سـبق كلام الشيخ ابن عتيق وغيره في ذلك.

قال ابن تيمية: تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره عليه فليس الإكـراه المعتـبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتـبر في الهبة ونحوهـا، فإن أحمد قد نصَّ في غـير موضـع، أن الإكـراه على الكفر لا يكـون إلا بالتعـذيب من ضـرب وقيـد، ولا يكون الكلام إكراهاً [2].

كلمة أخيره حول الإكراه

إنه من المهم والـــواجب التفريق بين الإكـــراه وبين مشاعر الخوف التي تتزاوج مع مشاعر الرجـاء والتعظيم فإن هذه مشاعر عبادة.

كما أنه يجب أن نفـــرق بين الاستضـــعاف وبين الهزيمة الداخليـة، والاسـتكانة للعـدو والركـون إليه وفقدان الثقة في الله وترك التوكل عليه.

ذلك أن الإنسان يملك في أحلك الظـروف قـوة عظيمة –هي قوة الرفض بقلبه- وهذه القوة سـماها رسول الله صلى الله عليه وسـلم جهـاداً في قولـه:

---

1 (?) "المصدر السابق": (ص526).

2 (?) نقلاً عن "الدفاع" لابن عتيق: (ص30).

"..ومن جاهـدهم بقلبه فهو مـؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[1] .

فـالانهزام أمـام الباطل والمـوالاة الـتي يحتاجها الباطل حتى وهو قوي لابد من الامتناع عنها وهذا هو جهاد القلب، والله سبحانه يقول للمؤمنين بعد وقعة أحد: (**وكأين من نـبي قاتل معه ربيـون كثـير فما وهنـوا لما أصـابهم في سـبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصـابرين * وما كـان قـولهم إلا أن قـالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسـرافنا في أمرنا وثبت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتـاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثـواب الآخـرة والله يحب المحسنين * يا أيها الـذين آمنـوا إن تطيعـوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسـرين * بل الله مـولاكم وهو خـير الناصرين**) [سورة آل عمران: 146-150].

وقـال الصـحابي الجليل عبد الله بن مسـعود: "بحسب امرئ يرى منكراً لا يستطيع أن يغيره يعلم الله من قلبه أنه له كـاره" ودلالة الكـره: الاعـتزال وعدم المشايعة بالعمل).

إن استعلاء القلب على الهزيمة الداخلية، وبقـاء قـوة رفضه للباطل مهما اسـتطال وانتفش وقـوة ضـبطه للسـلوك لتأكيد الاعـتزال وعـدم المشـايعة بالعمل لهو جهـاد القلب وإنه لجهـاد له أثـره الواقع في حياة الناس[2].

والله أعلم ، وصـلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم .

---

[1] (?) "صحيح مسلم" : (ج1/70، ح50) كتاب الإيمان.

[2] (?) "حد الإسلام" للشاذلي: (ص527-528) بتصرف.

تنبيه : هــذا البحث الســابق مختصر من كتــاب الــدكتور الفاضل : محمد بن ســعيد القحطاني : (الولاء والبراء في الإسـلام) ، انتقاه الأخ : سليمان الخراشي لأهميته هذه الأيام ، مع تصرف يسير .